

## ورقات تاريخية

### عن حياة البربر الدينية والخلقية في المغرب العربي

د / علي عبد السلام سيد أحمد

جامعة الأزهر — فرع البنات

كلية الدراسات الانسانية

### أولاً: الجانب الديني:

يقال في دين البربر في العصور القديمة من عدد من العقائد المحلية يتوافق وانقسام البربر الى قبائل والمعبودات التي كانوا يعبدونها — والتي كانت من غير شك — من الأشياء الطبيعية كالكهوف والصخور والينابيع والأنهار والجبال — ( كجبال الأطلس ) والأجرام السماوية كالشمس والقمر وبعض الكواكب الأخرى .

على أن تقديس البربر لهذه الأشياء لا نزال نلمس آثاره في بعض خرافاتهم<sup>(١)</sup> — بين القليل منهم — والبربر يدينون بديانات مختلفة ذلك أنه « حين أقبل العرب على المنطقة وجدوا تعبدوا في المعتقدات الدينية واختلافا في معبوداتهم »<sup>(٢)</sup> فنجد أن ديانتهم قبل الاسلام — بل قبل الفتح الروماني — المجوسية يقول ابن خلدون — في كتابه العبر — معبرا عن ذلك بقوله : « وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالشرق والمغرب الا في بعض الأحيان • يدينون بدين من غلب عليهم من الأهم فان الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٥١٣ — ٥١٤ .

(٢) د / حسن علي حسن : تاريخ المغرب العربي ص ٢٩٩ .

اليمن من قرارهم مرارا على ماذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم وذانوا  
بدينهم ... » (٣) .

وقد اختلفت مواطن هؤلاء البربر المعتنقين للمجوسية أماط اللثام  
عنها ابن خلدون بقوله : — « أن يليان على عقبة على بلد البربر وراءه  
المغرب مثل وليمي عند زهرهون وبلاد المصاهرة وبلاد السوسى وكانوا على  
دين المجوسية » (٤) وكذلك كانت قبائل بنى بازغة وبنى يرعش وزناتة  
البحالية ومغراوة وبنى يفرن الزناتى على دين المجوسية » .

هذا عن الديانة الوثنية أو عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية الأخرى  
التي انتشرت بين هذه القبائل — التي كشف النقاب عنها ابن خلدون —  
والتي ظلت على وثنيتها الأولى « فلم يعمتق أصحابها ديناً عن الأديان  
السمائية التي دخلت المنطقة » حتى عم نور الإسلام الوهاج أرجاء  
البلاد .

أما عن الديانة اليهودية فقد كانت داخل البلاد حيث ينتشر اليهود  
كثجار ومرايين شأنهم في كل زمان (٥) ومكان فقد دخل كثير من البربر  
واعتنقوا الديانة اليهودية وذلك عند استئصال ملك بنى إسرائيل لقرب  
التيام وسلطانهم منهم وقد نال علماء خلفاء بنى أمية من هؤلاء القبائل

التيام والقبائل اليهودية في بلاد المغرب ما يلي :

(٣) العبرية ص ١٠٦ .

(٤) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨٦ .

(٥) السيوطي : البستان في أخبار الزمان ص ٣٥ مخطوط نفلا عن :

د / حصن : تاريخ المغرب العربي ص ٢٩٩ ويضيفه إلى ذلك لوبون فيقول :

« كان البربر قبل الفتح العربي يعبدون آلهة قرطاجة مثل « غرزيل ومصهيمان »

وغيرهما من الآلهة القباية وروي يرتوليان أن البربر كانوا يضحون ببعض

الأولاد تقربا إلى آله الزمن كيوان وكانوا يعبدون النار أيضا : ( حضارة العرب

ص ٢٤٨ ) .

(٦) عبد الحميد العبادي : الجمل في تاريخ الأندلس ص ٣٧ .

مشقات عظيمة وطالما خرجوا على الخلفاء وقتلوا الجيوش ونهبوا  
الأمصار وانتشرت بينهم النطش والبور فتدينوا بها ومالوا اليها (٧).

وإذا كانت اليهودية لم يكن لها الشأن الذي أراد البعض نسبته  
إليها فانه مما لا شك فيه أنها انتشرت في شمال افريقية كلها — وأذا  
استتبنا نسل اليهود الذين أخرجوا من بلاد الأندلس في القرن الخامس  
عشر الميلادي فان معظم أتباع هذا الدين من أهل البلاد هم من نسل  
أولئك الذين تهودوا قبل دخول الإسلام في بلادهم (٨) ذلك أن اليهود —  
بلا ريب — قد رافقوا الفينيقيين في حلهم وترحالهم الى الموانئ  
والمصارف التجارية بافريقية وان كثرت يهود فلسطين على عهد الفرس  
جلب الى افريقية وإلى العالم الروماني بأكثره عددا كبيرا من المهاجرين  
اليهود.

وقد وقع تقرير عدد اليهود في العالم في القرن الأول الميلادي بما  
يفوق ستة أو سبعة ملايين يهودي منهم مليون بمصر وكان عددهم مرتفعا  
أيضا بطرابلس وكانوا يعيشون أجورا طبق عوائدهم وتقاليدهم وقوانينهم  
ويقومون بدعاية كنيوة تحت ظل بيعتهم وكان التبشير ضاربا أطنابه  
والوثنيون يعتقدون دين اليهود بكثرة ثم انتشرت الديانة اليهودية في  
بعض القبائل بالجنوب الغربي من البلاد التونسية (٩).

على أن اليهودية كانت منتشرة بين البربر البربر بصفة خاصة  
وذلك بقيادة زعيمهم وهي الكاهنة وتدعى داهيا بنت ماتيا بن تيفان  
من قبيلة جراوة (١٠) ومكان إقامتها جبل أوراس حيث اتخذته معقلا

(٧) العبر ١٠٧ ص ١٠٧.

(٨) دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٥١٤.

(٩) مدنية المغرب العربي في التاريخ ص ٣٦١ — ٣٦٢.

(١٠) البيان المغرب ج ١ ص ٣٥، الخلاصة النقية ص ١٠٤ الاستقصا

وحصنا (١١) وكانت تدين باليهودية وكذلك كانت عشيرتها وفي اطار هذا الصدد يقول ابن خلدون : « ان القبائل البربرية كانت وقت الفتح الاسلامي تدين باليهودية وانهم تلقوها منذ أقدم العصور عن بني اسرائيل » ثم يستطرد قائلا : « أما القبائل التي اعتنقت اليهودية فقبيلة جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة وقبائل نفوسة في افريقية وقبائل فندلاوة ومديونة وبهلوله وغياثة وبنو فازاز في المغرب الأقصى (١٢) وأيضا اشتهرت مدينة جادوا والواقعة قريبا من جبل نفوسة بكثرة اليهود وشاركتها مدينة سلجاسة في ذلك (١٣) » .

ولما كانت اليهودية في داخل البلاد ولم تكن هناك أحزاب معادية لها فقد سلمت من الأذى ولم يصيبها ما أصيب المسيحية على أيدي الوندال غير أن اليهودية في ذاتها قليلة الانتشار وذلك لضعف التبشير بها فلم يكن اليهود يعنون بالدين ونشره قدر عنايتهم بالمال واستثماره لذلك لم يكونوا متحمسين يوما — ما — لأن تكون ديانتهم ديانة عالمية .

ولم يعتقد اليهود في المغرب الافریقی الاسلام ولذا فقد بقي حال اليهود بعد الفتح كما كان من قبل (١٤) ولمع هذا فقد كانت جبال أوراس تكثره الرومان وتبغضهم وتثور عليهم وتعمل لتطهير المغرب منهم فيغضت كل شيء يتصل بالرومان حتى حضارتهم ودينهم اللذين أخذ بهما البربر في المدن وناوأت الرومان وضايقتهم في كل الأشياء حتى في الدين فان الرومان كانوا مسيحيين فاعتنق أوراس اليهودية التي تنابذ المسيحية وتعاديتها فانتشرت اليهودية في أوراس سيما في قبيلة الكاهنة .

(١١) معالم الايمان ج ١ ص ٦١ ، أبو الحسن على : كتاب الجغرافية ص ١٤٥ ترجمة اسماعيل العربي بيروت ، الكامل ج ٤ ص ٣٧ .

(١٢) العبر ج ٦ ص ٢٠٧ .

(١٣) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٩ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٨ ، وراجع تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٨ وما بعدها .

(١٤) المجمل في تاريخ الأندلس ص ٢٧ — ٢٨ .

ويرى « محمد دبور » أنهم تحمسوا لهذا الدين الذي يعادى الرومان المسيحيين وتصرّوه بوجودهم فقط أما أنهم يتقيدوا به فى الأعمال ويقيموا طقوسه فى المعابد فهذا مما يستبعد ذلك لأن المسلمين القاتحين والمؤرخين الذين نقلوا عنهم لم يذكروا أنهم رأوا فى أوراس من آثار بيع للعبادة ولا عيدا من أعياد اليهود الكثيرة يحتفل به البربر ويبجلونه ٦

لقد اعتنقت أوراس اليهودية كما اعتنق البربر الآخرون المسيحية لغرض سياسى ولأشياء أعجبوا بها فى المسيحية واليهودية كالدعوة الى الأخلاق الصالحة والأمر بالعدل والاحسان والنهى عن الظلم والطغيان بيد أنه عندما جاء الاسلام وجدوا جماله أبرع وأمره بالأخلاق العظمى أروع وحضه على العدل والاخاء والمساواة أكثر غاموا به كل الايمان .

ان كره البربر للرومان وحسب التبرير للكمال سيما فى الأديان هو الذى جعلهم يؤمنون بالمسيحية واليهودية فإيثار أوراس لليهودية كان للسبب الذى أسلفنا - وهو مخالفة الرومان فى كل شيء ومصادقة أعدائهم حتى فى الأديان - على أن هذه اليهودية - اذا صحت - فانه قد أخذت بها طوائف قليلة فى أوراس وكان مع جراوة فى جبال أوراس لوائته وهراوة وكتامة وقبائل أخرى أغلبها من البتر - ان أوراس هى المنطقة التى لم يستطع الرومان الأقوياء - رغم تسلطهم واحتلالهم للمغرب - ٣٩ عامًا تقريبا - الاستيلاء عليها واحتلالها وأن ينشئوا مراكزهم الحربية فيها لقد استطاعوا دخول أوراس بعد جهد جهيد ومجالات ومكابدات والبقاء فيه مدة قصيرة ثم ثارت عليهم أوراس تخرجهم دحرجة الشمس الحامية أكداس الثلج من رؤوس الجبال اذا ذابتها وكانت أوراس ومعقل البربر الكبرى يرون الرومان فى جلودهم البيضاء أضرب لهم من حلول البياض فى سواد العيون فكروهم كراهية البصير للعمى فثاروا عليهم وجالدوهم بسيفهم ومن ثم لم يستطع الرومان البقاء فى أوراس لينفثوا

فيهم ميوعة حضارتهم ومفاسد مدنيّتهم التي يقيد بها الاستعمار فرائسه  
ليرتع فيها فبقيت أوراسي على أخلاق بدائتها وفي رأسها الشجاعة والذبات  
والفداء والتضحية في سبيل الوطن إذا هددته الأعداء (١٥) .

أما عن الديانة المسيحية فقد انتشرت في المدن الساحلية حيث كانت  
السيادة الرومانية ذلك أن التبشير بالإنجيل كان حول بيع اليهود أول  
الأمر بالمدين والموانئ الساحلية وعلى الأخص بقرطاج ثم انتشر -  
التبشير - في الحقول وفي داخل البلاد ويمكن القول : أن النصرانية  
بدأت في الظهور بأفريقية آخر القرن الأول الميلادي ولكنها لم تبرز  
حقيقة جلية في التاريخ إلا عندما دخلت المسيحية إلى المغرب عن طريق  
رهبان مصر في القرن الثاني الميلادي (١٦) .

ومع أنها لاقت قبولا طيبا فقد كان انتشارها محدودا وأخذ  
الرهبان ينتشرون بين البربر فكانت المسيحية بذلك سبيلا للاتصال بين  
الرومان والأهلين وكانت الكنائس مكانا صالحا للاتصال والتفاهم وبذلك  
وفق الرهبان فيما عجز عنه الحكام وهو اجتذاب نفر من أهل البلاد اليهم  
ولكن ظل تأثيرهم ضعيفا (١٧) ذلك أن المسيحية لم تنتشر داخل البلاد ولم  
تحقق نجاحا هناك وإنما تركزت في المدن الساحلية الساحلي وقد يرجع  
ذلك إلى أن النفوذ البيزنطي لم يكن يتجاوز هذا النطاق (١٨) كما أن البربر  
سكان البلاد الأصليين لم يقبلوا على اعتناقها باعتبارها مذهب الطبقة  
الحاكمة والمستعمرة للبلاد (١٩) يضاف إلى ذلك وجود الصحراء التي كانت  
تقف حاجزا منيعا في اتجاه المسيحية من الشمال إلى الجنوب (٢٠) .

(١٥) محمد دموز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٧٧ - ٧٨ .

(١٦) مدينة المغرب العربي في التاريخ ص ٣٦٢ .

(٢٧) د / حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٨ ، د/حسن محمود

ليبيا بين الماضي والحاضر ص ٩٤ .

(١٨) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(١٩) الاسلام والثقافة العربية في افريقية ج ١ ص ١٤٣ .

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

ولم استولى جيستيان على البلاد اهتم اهتماما بالغا باعادة افريقية الى المسيحية فأعاد بناء كهيلهم من الكنائس وأنشأ بمغضها وشجع البعثات التبشيرية فأخذت المسيحية تنتشر من جديد وانتشرت بين القبائل البربرية المحيطة بصبراته وفي طرابلس وأقيمت الكنائس في وُلحات مثل (أوجلة) و (غدامس) (٢١) فقد استطاعت روما منذ أوائل القرن الرابع الميلادي أن تفرض النصرانية على معظم القبائل (٢٢) .

على أن حياة المسيحيين الأولين بأفريقية لا تختلف كثير من حياة بقية النصارى المنبشرين في بعض البحر الأبيض المتوسط فكانوا يجتمعون في دار الأسقف للأصوام التي تلاوة الانجيل وتفسيره وللصلاة جماعة ولتناول القربان المقدس وكان المطران رئيس الجميع يساعد في عمله القساوسة أو الكهنة والقارء وهو من درجة الكهنوت الصغرى والكلف بحفظ الكتب المقدسة والشمامسة المكفون بالنواحي المادية المتعلقة بالشعائر وهو ما يسمى بالتشميس .

هذا وقد بقي النصارى مدة طويلة وهم يقيمون شعائر دينهم بدون معارضة وتعليق من طرف السلطة الرومانية التي كانت تتركهم وشأنهم مثلما كانت تتسامح عادة مع الأديان الأخرى باختلاف أنواعها فكانوا يجتمعون في محلهم الخاص ويكسبون الأملاك والمتاع كما كانت لهم مقابرهم الخاصة بهم والمفصلة عن مقابر اليهود أو الوثنيين فكانت مقابرهم غير مسقوفة ولكنهم كانوا يدفنون موتاهم أيضا في دهاليز تحت الأرض ويسمونهم بالسراديب ثم الدياميس وأشهر الدياميس الموجودة بمدينة سوسة وفيها مايزيد على عشرين ألفا من قبور النصارى يرجع عهد أقدمها الى آخر القرن الثاني الملادي .

(٢١) أرنولد : الدعوة الى الاسلام ترجمة د/حسن ابراهيم حسن ص ١٤٣ .

(٢٢) ليبيا بين الماضي والحاضر ص ٩٤ .

(٢٣) الأسقف فوق التسميس دون المطران وكثيرا ما تطلق هذه الكلمة على المطران أيضا راجع : مدينة المغرب العربي هلمس ص ٣٦٢ .

ويبدو أن السلطة الرومانية بدأت وقتذاك تقريبا في اتخاذ وسائل القسر والقهر ضد النصارى وكانت أول عملية من عملياتها كانت سنة ١٨٠م ألقي فيها القبض على أنقى عشر نصرايا حكم عليهم انقنصل بالاعدام فضربت أعناقهم بقرطاج (٢٤) .

ولا غرو فقد كان النظام الكنسي محتلا في افريقية بسبب تدهور الأخلاق بين رجال الدين وبسبب نشاط الكنيسة الغربية ( كنيسة روما ) في عهد ( جريجورى الكبير ) الذي عمل جاهدا على توحيد مركز الكنيسة الغربية بإرسال البعوث التبشيرية إلى افريقية فتغلغل القسوس في البلاد واستطاعوا أن ينشروا لواء المسيحية بين كثير من القبائل البربرية .

وإذا كانت الحكومة البيزنطية قد أخذت تنسحب رويدا من المواقع الداخلية فقد أخذ القسوس يظنون محل الحكام حتى أصبحوا — بمرور الأيام — حماة الضعفاء والمظلومين فلم يعد هؤلاء يتوجهون إلى القسطنطينية لتقديم مظالمهم وإنما أخذوا يتوجهون إلى بابا روما فهو أقرب إليهم وربما كان أقوى سلطانا ونفوذا .

ومن ثم أصبحت ( روما ) سلطة جديدة في افريقية البيزنطية يحسب حسابها ويركن السكان إليها ويلوذون في كثير من أمور حكومتهم فاعتمد الحكام على رجال الدين الذين لم يلبثوا أن سادوهم . ففي أوائل القرن السادس كان القيساوسة يديرون افريقية (٢٥) .

ويصور — لنا — ابن خلدون في كتابه « العبر » كيف كان السكان بالنصرانية وهم تحت حكم الرومان فيقول : « وقد كانوا ( البربر ) دانوا لعهدهم بما تعبدوهم به من دين النصرانية وأعطوهم المهادنة وأدوا إليهم الجباية طواعية وقد كان للبربر في الصواحي وراء ملك الأمصار المروية الحامية مائساء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء

(٢٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ص ١٣ .

(٢٥) ليبيا بين الماضي والحاضر ص ٩٤ .



وأقيل وأمر أؤها لا ينامون يخل ولا ينالهم النوم والأفرنج فى ضواحيهم تلك بمسخرة ولا اساعة وقد منحهم الاسلام وهى فى مملكته قد استولوا على رومة وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب الاسكندرية وبرقة ومصر يؤدون الجباية له وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصيرة وصاحب صقلية وصاحب الأندلس من السقوط لما كان الروم غلبوا على هؤلاء الأمم أجمع وعندهم كلهم أخذوا دين النصرانية ..» (٢٦) .

على أنه لم يذكر ينتهى القرن السادس الميلادى حتى أصبحت علاقة افريقية بالدولة البيزنطية علاقة واهية وأصبح الموظفون البيزنطيون فى جميع نواحي الادارة يميلون الى التحرر من نير سيطرة الامبراطور البعيد عنهم جدا . كما أصبح المواطنون ينظمون بالكيسة الغربية التى تجعلهم بعض الشيء بل أخذت الكيسة تفل سلطتها الادارية على تودة ومهل محل السلطة الادارية المركزية وتعمل على افساد الادارة المحلية التى لم يكن ينقصها الاضطراب (٢٧) والفوضى كما اقتتل النصرانية كثير من القبائل البربرية المجاورة للمسيحية واثارت اليونانية أيام الحكم المسيحى (٢٨) ، وتذكر دافرة المعارف الاسلامية على اليهودية قد مهدت السبيل للنصرانية التى سرعان ما افترقت عنها هنا . كما حدث فى غير بلاد البربر - وقوى شأنها وازدهرت بالرغم من الكفاح العنيف الذى كان لابد لها من أن تنسفه على الوثنية وبالزعم من انقسام الرأى بين النصراني أنفسهم انقساما أدى الى تمزيق وحدتها وتفكيكها .

على أن هذا ليس مقام الافاضة فى ذكر هذا الانقسام - وانما يكفيننا هنا ملاحظة حوى بنا اماطة اللثام عنها وهى : - أن المسيحية أتاحت للبربر فرصة الاتحاد ضد الحكم الرومانى المستبد والمتعسف

(٢٦) العبر ج٦ ص ١٥٧

(٢٧) ليبيا بين الماضى والحاضر ص ٩٥ .

(٢٨) لوبون حضارة العرب ص ٢٤٨ .

فى الوقت نفسه وأفهم أقبِلوا أيما إقبال على اعتناق الآراء الخارجة  
التي كانت تتعارض مع عقيدة الكنيسة فى رومية .

على أن هذا الأمر نفسه قد حدث بعد الفتح الإسلامى ولم يتغير  
فيه إلا أسماء الخصوم لا غير (٢٩) ذلك أنه فى عهد ولاية ( جريجورى  
الثانى ) - جرجير - على إفريقية حدثت انقسامات دينية مكثرت المذاهب  
وانقسم الروم شيئا ففرقا وأحزابا لكل حزب بما لديهم فرحون لاهون  
ومن ثم رأى هذا الوالى أن خير وسيلة لتجنب البلاد هذه الانقسامات  
هو اعلان الانفصال عن بيزنطة وشجعته البابوية فى روما على ذلك  
الانفصال لأن انفصال إفريقية عن الكنيسة الشرقية ودخولها فى طاعة  
البابوية يعد نصرا عظيما للبابوية فى عصر اشتد فيه النزاع بين الاثنين  
معا هذا فضلا عن أن أهالى برقة وطرابلس بالذات كانوا فى مقدمة من  
آزر ( جرجير ) على الانفصال من ثم تبنى أن الحكم العسكرى العاشم  
الظالم والضرائب الباهظة الجائرة التى يفرضها السلطة الحاكمة الباغية  
والخلافات المذهبية وإهمال المشروعات للإصلاحية كل هذا أوجد الفرصة  
الملائمة والموائمة للعرب فى وثبتهم الكبرى (٣٠) التحررية العادلة كى  
يرثوا هذه البلاد المضطهدة ويحرروها من غير العبودية والعسف والتهوان  
- وفى الوقت نفسه ليخرجوها - أيضا - من ظلم الجاهلية وظلمات  
العبودية الى سماحة الاسلام وعدالته وسمو ميادئه ونور المدنية وسماء  
العرفان هذا وقد استمرت النصرانية فى ليبيا حتى بعد زوال الحكم  
البيزنطى (٣١) .

بيد أنه بعد أن فتح الرومان ليبيا ومع مرور الزمن وتعاقب السنين  
اندمج سكانها الأصليون من البربر بالروم ونسى بعضهم قوميتهم  
وعاداتهم وأصبحوا كروما - سواء بسواء - فى كل مقومات الحياة حتى

(٢٩) دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٥١٤ .

(٣٠) ليبيا بين الماضى والحاضر ص ٩٥ - ٩٦ .

(٣١) نقولا زيادة : - ليبيا من الاستعمار الإيطالى الى الاستقلال ص ٢٧ .

المنصب في الدولة وكان هذا الاندماج في بربر السواحل وما حاربها أما البربر الذين يسكنون الجبال وما ورائها فقد احتفظوا بقوميتهم وعاداتهم ولا مهتأثروا بعادات الروم ولذلك نراهم كثيرا ما قاوموا الروم وحاولوا إبعادهم بإجلائهم عن وطنهم ولم يتركوا فرصة للثورة إلا ثاروا عليهم تخلصا من حكمهم (٣٢) الجائر البغيض وتعسفهم الممقوت واستبدادهم المذموم ذلك أن نار الرغبة في الاستقلال لم يخمد أوارها ولم يخب جذوتها ولما ضعفت سلطان الروم برزت شخصية البربر فلما اعتنق بعضهم المسيحية على مذهب يخالف مذهب الحكومة تحولت الخلافات الدينية حربا ضروسا بين الأجناس كما كانت الحال يميز بين الروم والمكانين واليعاقبة المصريين وكانت الحكومة في المغرب - وقتذاك - تعاقب مخالفيها أشد العقاب وتبلغ الأمر إلى حد أن أحد الأباطرة تيسلم ثلاثمائة أمقفا وألوف من صغار القسس ونفاهم وجرم على العامة إقامة شعائر الدين كما هو من المخالفين منهم حقوقهم المدنية فكان هذا الاضطهاد الديني مذكيا لقرار العداء الجنسي فكثر الثورات على الروم وتحرر كثير من البربر من نير الحكومة (٣٣) على حد قول ابن خلدون : « وضار لهم وراء الأمصار المروبة ماشاء الله من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء لا ينالهم الروم والفرنج بمسخطة ولا إساءة » (٣٤) .

ولما انقسمت الإمبراطورية الرومانية نهائيا في القرن الرابع الميلادي كانت برقة في نطاق الإمبراطورية الرومانية الشرقية ( البيزنطية ) ولعل الصلح الوحيد الأهم الذي عرفته برقة على عهد الرومان وأيام البيزنطيين هو انتشار النصرانية في ربوعها فقد وصلت النصرانية في

(٣٢) تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٨ .

(٣٣) محمد أحمد جسونة : الجغرافية التاريخية الإسلامية ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٠٧ .

القرن الأول الميلادى ويعتبر مرقس مؤسس الكرازة المرقسية المصرية  
قيرينى الأصل (٣٥) •

ولعل نصارى برقة لم يتعرضوا للاضطهاد القوي العنيف الذى  
تعرض له النصارى فى أنحاء أخرى من الامبراطورية الرومانية •

على أنه بعد أن منح قسطنطين النصارى حريتهم الدينية نشط  
النصارى البرقاويون الى بناء الكنائس وصار الأساقفة هم رجال الحل  
والعقد لضعف سلطة الامبراطورية المركزية •

ومن بين تلك الأسماء اللامعة فى أواخر القرن الرابع الميلادى  
سيبيوس الفيلسوف القيرينى الأصل الذى كان نصرانيا ثم صار ( سنة  
٤١٠م ) مطرانا فى بطوليمائوس ( طلميثة ) التى كانت — على ما يبدو —  
مركز البلاد الادارى كما كان المشرف على شئون الدين والادارة وقائد  
الجيش — هذا وقد دهم طرابلس أوائل القرن الخامس الميلادى خطر  
الفندال اذ احتلوها واستقروا فيها ( ٤٢٧ — ٥٣٣م ) ودمروا ما استطاعوا  
التدمير — ومع أن الفندال لم يحتلوا برقة ذاتها فان البلاد تأثرت —  
تأثرا بالغا — بسبب هذه الكارثة التى اصابته البلاد الشقيقة —  
تلك — •

وحدث عام ( ٥٢٧ — ٥٦٥م ) أن قام الامبراطور جستنيان بآخر  
محاولة لانعاش المدن البرقاوية فبنى أسوارها ورمم قلاعها وجدد  
حصونها وأنفق — عن سعة وبذخ — على كنائسها لكن الرجال قل  
عددهم والمال نقص موارده فقد تضرر المتوس سريعا جسم برقة اليونانية  
الرومانية وأفقرت الضرائب الرومانية جيوب أهلها وأقفرت الأرض من  
سكانها وما تبقى فيها من حصن قائم أو سور عامر الا وقد حطمته الغزوة

---

(٣٥) قيرين تبعد عن الشاطئ ثلاثة عشر كم حيث تقوم ميناء صالحة  
لرسو السفن وهى ميناء أبو لونية وظلت قيرينى تابعة ولو اسما لبطربرك  
الاسكندرية •

الساسانية للبلاد بقيادة خسرو ( ٦١٦ - ٦١٨ م ) إذ قلد جيشه إليها بعد استيلائه على مصر (٣٦) .

استقر المسيحيون في أماكن متعددة من أرض المغرب فعلى أطراف مدينة طرابلس وجدت جالية مسيحية كما أن مدينة تلمسان وجدت بها طائفة أخرى (٣٧) .

كذلك أشار ابن أبي دينار إلى التجاء القبط للتحصن بمدينة نفيس . « وفتح - عقبة بن نافع - مدينة نفيس وكانت حصينة واليها التجأ كثير من البربر والتصارى لحصانتها فحاصرها عقبة وقائلهم حتى فتحها وأصاب غنائم كثيرة (٣٨) » يضاف إلى هذه الجماعات مجموعة الأسرى القبطية والتي بلغت الألف - والتي انتقلت من مصر إلى تونس للمشاركة في إنشاء الأسطول الإسلامي وذلك بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان يقول البكري : « كتب عبد الله بن مروان إلى أخيه عبد العزيز وهو وإلى مصر - وقتذاك - أن يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصرويحسن عونهم حتى يصلوا إلى ترشيش - وهي تونس وكتب إلى ابن النعمان يأمره أن يئتي لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر فوصل القبط إلى حسان بن النعمان وهو حقيم بتونس ... وأمر القبط بعمارتها ... » (٣٩) . وإذا كان الهدف الأساسي من أعمال الفتح الإسلامي في منطقة المغرب العربي هو نشر الدين الإسلامي الحنيف واثابة الفرصة كاملة للبربر سكان البلاد الأصليين والواقعين تحت سيطرة النفوذ البيزنطي كي يتعرضوا على تعاليم الإسلام ومبادئه القيمة ومثله السامية وأهدافه

(٣٦) نقولا زيادة برقة الدولة العربية الثامنة ص ٢٨ - ٣٩ .

(٣٧) المغرب في ذكر بلاد أفريقية ص ٧ ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٣٨) المؤنس في أخبار أفريقية ص ٣١ .

(٣٩) المغرب في ذكر بلاد أفريقية ص ٢٨ ، ٣٠ .

المزاهية المزاهرة وبالإضافة الى هذا تأمين الفتح العرب الاسلامى فى مصر وغير ذلك من الأهداف الأصلية على أنه مما لا ريب فيه ولا ارتياب أن الدين الاسلامى الحنيف قد تغلب على هذه الديانات — النلا اسلامية — المنتشرة فى شمال افريقية قبل الفتح الاسلامى لها فاعتنقه غالبية الشعب البربرى عن رضى واقتناع ويرجع ذلك لأسباب كثيرة تجترىء منها القليل قدر المستطاع : — منها أن المسيحية كانت قد ضعفت فى العرب وذلك لما انتابها من محن على أيدي المجرات الجرمانية الهمجية خاصة — الوندال — فقد نفذ الوندال من أسبانيا الى شمال افريقية<sup>(٤٠)</sup> عن طريق البحر بقيادة ملكهم جيسريك واقتحوها سنة ٤٢٩م وكانوا يدينون بالمذهب الاربوسى ويعادون الكنيسة الرومية وعاونهم البربر حيا فى التخلص من نير روما وحاكمها ولكن الوندال عاثوا فى افريقية وعثوا بها أيما عيث وعبث وخرّبوا المدن والمنشآت الرومانية واستقروا سادة فى البلاد المفتوحة مدى قرن من الزمن عانى البربر فى أمر ضروب العسف والطغيان<sup>(٤١)</sup> • لذا فقد أصابوا كنائس المسيحية فى شمال افريقية بتخريب جسيم<sup>(٤٢)</sup> أليم وفى سنة ٥٣٤م بعث يوستينيان امبراطور ( قيصر ) الدولة الرومانية الشرقية قائده الشهير بليزار يوس الى افريقية على رأس جيش ضخم حم فافتتحها وحطم سلطان الوندال وأجلاهم عنها وحينئذ عادت افريقية الى سلطان وسلطة الدولة الشرقية<sup>(٤٣)</sup> • هذا الى تعدد المذاهب المسيحية وتناحرها وتكفير بعضها بعضا أن قلل الثقة فى نفوس الناس مما هيا السبل أمام هذه النفوس لتقبل التعاليم الاسلامية الواضحة الراقية •

أما اليهودية المنتشرة بين قبائل البربر البتر فقد سلمت من الأذى

(٤٠) المجلد ١٢ من تاريخ الاندلس ص ٢٧ • الفتح العربى فى

(٤١) دولة الاسلام فى الاندلس ص ١٣ •

(٤٢) المجلد ١٢ من تاريخ الاندلس ص ٢٧ •

(٤٣) دولة الاسلام فى الاندلس ص ١٣ — ١٤ •

ولم يصيبها ما أصاب المسيحية على أيدي الوندال وغيرهم وذلك لوجودها داخل البلاد ولم يكن هناك من يعاديه كما أن اليهودية في ذاتها قليلة الانتشار ومن ثم لم يكن اليهود يهتمون بها قدر اهتمامهم بالمال واستثماره وتسخيره — بحق وبغير حق — للثراء — وكذلك لم يكونوا متحمسين يوما ما — لأن تكون ديانتهم ديانة عالمية ومن ثم لم يعتنق اليهود في المغرب الأفريقي الإسلام الا قليلا — أما الوثنية فانها وان اعتنقها غالبية الشعب البربري الا أنها لم تكن لتثبت أمام الفكرة الإسلامية الواضحة البسيطة خصوصا وأن العرب المسلمين كانوا يعترفون بالديانات السماوية الأخرى ، ووفد نفر من البربر المتعطشين للعلم على تلك المعاهدة لتلقى العلوم والمعارف . فيها واتضحت أهمية هذه الخطوة الهامة منذ أن أسس العرب بقيادة عقبة القيروان التي غدت على عهد موسى بن نصير مقر الوالى ومركز الدواوين الكبرى ومصدر الإدارة والسلطان وكل هذا التنظيم الإداري لبلاد المغرب الاستقرار والهدوء وأخذ السكان يألفون العرب وادارتهم ويفدون على العاصمة لقضاء حاجتهم في طمأنينة وسلام (٤٤) .

وكان أول ما أنشأه العرب « الدور والمساجد ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلا — مكانا — بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كتاب الله العزيز » وكان انشاء هذه الكتاتيب منذ زمن مبكر في بلاد المغرب سببا في سرعة انتشار اللغة العربية بين سكانها الأصليين وذلك بفضل ما تحلى به العاملون فيها من خلق رفيع واخلاص في العمل فترك أولئك المدرسون أثرا طيبا في نفوس أبناء البربر الذين ظلوا يرددون المآثر الجليلة التي شاهدوها في أولئك المدرسين فقد قال أحد رجال البربر : « كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه » وأسهمت هذه المعاهد التعليمية

---

(٤٤) موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي ص ٥٦ .

التشقيقية فى انتشار اللغة العربية سريعا بين جموع البربر الغفيرة الذين استجابوا - نوا - لتلك اللغة الفصحى - لغة كتاب الله الحكيم - ووجدوا فيها سبيلا يجمع كلمتهم - ذلك أن أهل المغرب كانوا فى ميسس الحاجة الى لغة يتفاهمون بها ويتخاطبون وطريقة يكتبون بها ليعبروا عنها ما يريدون - ولما كانت للغة العربية هى لغة القرآن الكريم فان شدة ايمانهم بالاسلام ورغبتهم الشديدة الى قراءة الكتاب الكريم مما دفعهم على الاقبال الى تعلمها - اللغة - واجادتها - كما وجد البربر فى العرب الذين أقاموا بين ظهرانيهم نماذج رفيعة فى أداء فى أداء اللغة العربية السليمة والنطق بها اذ أجاد العرب الخطابة والتعبير وتركوا للبربر صورا ناصعة يمكن محاكاتها فى ميدان اللغة العربية وكانت للنتيجة الهامة لهذه السياسة اختفاء العنصر اليونانى والرومانى من بلاد المغرب حتى اختفت آثارهم من البلاد ولم تبق الا آثار قليلة من مظاهر الحضارة القديمة فى نواح ساحلية أخرى (٤٥) •

على أن هذه المظاهر الباهتة تلك لم تلبث أن اختفت بدورها تبعا لاختلاف اللغات اليونانية والفينيقية واللاتينية التى كان يستعملها الروم ومن تأثر بهم من السكان •

ومن ثم أثبتت ادارة موسى بن نصير قدرتها الفائقة على دفع بلاد المغرب الى التطور العظيم الذى مازال - وسيظل - يكلل حياة سكانها الى اليوم فلم تعد تلك البلاد شريطا ساحليا يسكنه جماعة من المستعمرين المتحضرين وفيما وراءهم فى داخل البلاد سكان بعيدون عن الأخذ بأسباب الرقى وانما أصبحت بلاد المغرب العربى وحدة متماسكة لا انفصام فيها تشرف عليها ادارة مثالية (٤٦) رائدة ويسكنها شعب مسلم قوى بدينه تنتشر بين أفرادهم وشائج المودة وأواصر الألفة والمحبة •

(٤٥) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠ •

(٤٦) نفسه ونفس الصفحة •



وكانوا يقبلون من أهلها بقاءهم عليها <sup>(٤٧)</sup> على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • انما كانوا يشنون حربا لا هراة فيها على الديانات الوثنية تلك — وقد أشار الى ذلك ابن خلدون فى كتابه العبر : « أن يلىان دل عقبه على بلد البربر وراءه المغرب مثل وليلة عند زرهون وبلاد المصامدة وبلاد السوس وكانوا على دين المجوسية •• » <sup>(٤٨)</sup> وكذلك كانت قبائل بنى يازغة وبنى يرغش وزناتة الجبالية ومغراوة وبنى يفرن الزناتى على دين المجوسية » <sup>(٤٩)</sup> وظلت هذه القبائل على وثنيتهما الأولى — كما سبق أن ذكرنا — فلم يعتنق أهلها دينا من الأديان السماوية التى دخلت المنطقة حتى دخل الاسلام البلاد •

ومنذ المراحل الأولى للفتح العربى والقادة المسلمون يعملون على تحقيق الفكرة التى أقبلوا من أجلها ألا وهو نشر الاسلام ويمكن القول أن ذلك بدأ بصورة عملية واقعية منذ تأسيس القيروان والتى كان من أهدافه بنائها اقامة مجتمع اسلامى ينطلق منه الدعاة الى كافة أنحاء افريقية لنشر الاسلام فى جميع أصقاعها وبقاعها فضلا عن استقبالها للبربر الذين وجدوا فى اقامتهم بين العرب خير عون على تعلم الدين الجديد <sup>(٥٠)</sup> •

يقول الفردبيل « بفضل القيروان التى صارت أول عاصمة اسلامية فى المغرب ويسهر عليها قادة عرب صادقوا الايمان كان على سكانها أن يلتزموا باداء فروض الدين والبربر البدو المقيمون فى النواحي المجاورة وكانوا يغشون أسواق المدينة كان فى وسعهم أن يقتدوا بسيرة سكانها وأن يقدموا اليها لتلقى التعليم الدينى فيها ليعودوا بعد ذلك مرشدين

(٤٧) المجلد فى تاريخ الأندلس ص ٢٨ •

(٤٨) العبر ج ٤ ص ١٨٦ •

(٤٩) عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : — البستان فى أخبار الزمن ورقة ٣٥ مخطوط نقلا عن : د / حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى ص ٣٠٠ •

(٥٠) د / حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى ص ٣٠١ •

لبنى عشرتهم فيما يتعلق بالتعليم الدينى فضلا عن أولئك المعلمين العرب أو البربر الذين كانت ترسلهم الحكومة العنصرية الى الأقاليم والقرى لتعليم الناس بعد أن يتكفونوا فى العاصمة<sup>(٥١)</sup> وليس ببعيد أن كان فى دعاء عقبة بن نافع ما يشير الى الهدف الدينى من انشاء القيروان حين دعا بعد الفراغ من بنائها قائلاً : « اللهم اعلها علما وفقها واعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك . وأعز بها الاسلام وأمنها من جبليرة الأرض »<sup>(٥٢)</sup> .

ولما كان الهدف الأساسى من عملية الفتح الإسلامى فى منطقة المغرب العربى هو نشر الاسلام من ناحية ولاتاحة الفرصة للبربر سكان البلاد الأصليين والواقعين تحت سيطرة الميزنطيين كى يتعرفوا على الاسلام ومبادئه المثلى السامية من ناحية ثانية ويضاف الى هذا الهدف الأساسى تأمين الفتح العربى فى مصر وغير ذلك من الأهداف من ناحية ثالثة فلذا فقد تضافرت عدة عوامل على نشر الاسلام فى المغرب العربى وجعله قطرا اسلاميا يشارك غيره من أقطار الدولة الإسلامية فى تشييد صرح الحضارة الإسلامية بعد أن أسلم أبناؤه وحسن إيمانهم<sup>(٥٣)</sup> ويمكننا أن نجمل هذه العوامل فيما يلى : —

انتشر الاسلام فى افريقية ابان وبعد الفتح الإسلامى لبلاد المغرب على يد القادة المسلمين ويأتى فى مقدمتهم عقبة بن نافع الذى أسس أول عاصمة إسلامية فى الشمال الافريقى فضلا عن تأسيس مسجدها

---

(٥١) الفرق الإسلامية فى الشمال الافريقى ص ١٩٤ .

(٥٢) النبأغ : معالم الايمان ج ١ ص ٧ .

(٥٣) راجع : د / حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٢ .

(٥٤) د / محمود اسماعيل : المالكية والشيعة بافريقية ابان قيام الدولة الفاطمية بحث نشر فى المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٧٦ ص ٧٣ .

الجامع فقد اضطلع — عقبه — بمهمة الدعوة إلى الاسلام إلى جانب انشغاله بمهام الفتح ومشكلاته وعلى يده تم اسلام عدد غفير من البربر<sup>(٥٤)</sup> .

وجاء بعد عقبه القائد أبو المهاجر دينار الذي استطاع عن طريق سياسة المصالحة والتودد للبربر أن يشجعهم على الاقبال على الاسلام واعتناق مبادئه فنجد أن العناصر الأخرى من « الأفارقة » قد بدأت تعتنق الاسلام في ولاية أبي المهاجر الذي نجح — كما ذكر المالكي في ضم « عجم افريقية » إلى حظيرة الاسلام وقد بدأ ذلك بشكل جلي في اسلام كسيلة بن لزموقييلته أوربة<sup>(٥٥)</sup> . على أن اسلام البربر والأفارقة ظل سطحيًا حتى خلافة عمر بن عبد العزيز فقد بعث بالعلماء والفقهاء إلى المغرب لتبصير المسلمين الجدد بأمور العقيدة والشريعة وأصبحت المساجد بمثابة مراكز للدعوة<sup>(٥٦)</sup> . كما سيتضح فيما بعد — ثم يأتي دور حسان بن النعمان في نشر الدين الاسلامي فقد بدأ يوجه جهوده — بعد فراغه من نشاطه العسكري — في سبيل تهيئة المناخ المناسب لدخول البربر في الاسلام وذلك بإجرائه عدة تنظيمات ادارية واقتصادية كانت تهدف إلى وضع البربر في وضع أفضل مما كانوا عليه . أما من أسلم منهم فقد أصبحوا على قدم المساواة بغيرهم من العرب المسلمين كما أتاح لهم فرصة الانضمام إلى الجيش العربي حيث يتسنى لهم الاختلاط والمعايشة مع المسلمين وبذلك يسهل التعرف على الاسلام<sup>(٥٧)</sup> .

ويأتي القائد العربي موسى بن نصير ليكمل ما بدأه حسان في نشر الاسلام بين جموع البربر الغفيرة جهارًا وعلمانية إذ اقتصر الأمر قبل قيام الادارة العربية على عهد موسى بن نصير على اسلام نفر من

(٥٥) رياض النفوس ج ١ ص ٢١ .

(٥٦) البيان المغرب في أخبار المغرب ج ١ ص ٤٣ .

(٥٧) تاريخ المغرب العربي ص ٣٠٣ .

سكان تلك القبائل نتيجة اتصالهم بالجند العرب ثم بقائهم على دينهم أما سرا أو جهرا كل حسب ايمانهم وموقفه بعد ارتداد الجيوش الاسلامية عن شمال افريقية لكن باستقرار الأوضاع على عهد موسى بن نصير بدأ المسلمون من البربر يعلنون اسلامهم وحماستهم للدين الجديد ويعملون على حمل لوائه بين جيرانهم من أهل البلاد خاصة بعد اشتراكهم مع الجيوش العربية فى الفتوح الاسلامية .

وأخذ الاسلام ينتشر سريعا من الجهات الداخلية لبلاد المغرب الى المناطق السلطانية وانتهى الأمر برسوخ الاسلام فى « افريقية والمغرب الأوسط » وتوج موسى بن نصير جهاده فى ذلك السبيل بنشر الاسلام فى المغرب الأقصى كذلك وأشارت المراجع التاريخية الموثوق بها الى هذه الحقيقة الهامة فى تاريخ البلاد فقد ذكرت أنه فى عهد موسى بن نصير « تم اسلام المغرب الأقصى » وحول المنابر هناك ( بيوت العبادة القديمة ) الى القبلة<sup>(٥٨)</sup> وفى الوقت نفسه نجد أنه ترك الدعاة من العرب يعلمون البربر القرآن الكريم وتعاليم الاسلام يقول ابن خلدون : « وأفزله معه سبعة وعشرين من العرب ولثنى عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه »<sup>(٥٩)</sup> يضاف الى ذلك ما شيده من المساجد العديدة ومنها مسجد أغمت هيلانة<sup>(٦٠)</sup> وقد ساعد هذا على اقتلاع جذور المعتقدات الدينية القديمة من السكان المحليين وتثبيت أركان الدين الاسلامى فى نفوسهم . الى جانب الطريقة المثلثى التى سار عليها موسى بن نصير منذ مطلع عهده بالمغرب العربى فقد حرص موسى بن نصير أن يضرب المثل بنفسه على سهر عمال الادارة العربية على مصالح السكان ومشاركتهم فى السراء والضراء فروت المراجع : أن موسى بن نصير دأب على الخروج بنفسه لمواساة الناس أثناء المجاعات التى تعرضوا

(٥٨) د / ابراهيم العدوى : موسى بن نصير مؤسس المغرب العربى

ص ٥٨ .

(٥٩) العبر ج ٦ ص ١١٠ .

(٦٠) البيان المغرب ج ١ ص ٤٣ .

لها وتنظيم الأقوات اللازمة لهم فخرج مع الناس مرة إلى الصحرَاء للاستسقاء ومعه سائر الحيوانات... وأقام فيها إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب في الناس ولم يذكر الوليد عبد الملك فقيلاً له : ألا تدعو لأمير المؤمنين فقال : — هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى » واستجابتم السماء لصلاة الاستسقاء فانهمرت الأمطار وبدأت البلاد تعمر بالزروع والأقوات (٦١).

وبذلك وضع موسى بن نصير الأسس السليمة للإدارة العربية الناجحة مما يجب أن تكون مثلاً يحتذى وأسوة حسنة يجب أن تقتدى وهي العمل على احترام المواطن المغربي والسهر على خديته ومطالبه ونجحت الإدارة العربية بذلك — على عهد موسى بن نصير — نجاحاً باهراً إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا عد لها ولا حصر وهذا مما جعل موسى بن نصير أن يعد بحق « مؤسس المغرب العربي » .

وفي الوقت نفسه فقد كانت توجيهات الخلفاء والحكام لولا أنهم تسهم بدورها في إقرار مبادئ الإسلام ومنها العدل والمساواة ومراقبة الله عز وجل . أي التطبيق العملي للإسلام .

ومن ذلك ما وصى به سليمان بن عبد الملك واليه على المغرب محمد بن يزيد حين قال له : يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له وقم فيمن وليتك بالحق والعدل اللهم اشهد عليه » (٦٢) وكان جواب والي على هذه النصائح القيمة والتوجيهات السديدة أن قال : « مالي عذر أن لم أعجل » (٦٣) ومن ثم يمكن القول أن الإسلام قد رسمت قواعده وتوطدت أركانه على عهد اسماعيل بن أبي المهاجر وإلى المغرب من قبل عمر ابن عبد العزيز إذ أشارت أكثر المصادر والمراجع التاريخية إلى جهوده

---

(٦١) د / ابراهيم العدوي : موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي

ص ٥٤ .

(٦٢) الفيرواني : تاريخ إفريقية ص ٩٣ .

(٦٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

الفعالة في نشر الاسلام ومما قاله ابن عذارى في هذا الصدد : « وما زال حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى أسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز وهو الذي علم أهل افريقية الحلال والحرام » (٦٤) .

ثانيا : الدعاة المسلمون : ونعني بهم الصحابة وغيرهم من التابعين الذين شاركوا في أعمال الفتح الاسلامي لشمال افريقية ثم استقروا بالمنطقة كما يضاف الى هؤلاء مجموعة الدعاة التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز ليعاونوا اليه اسماعيل بن أبي المهاجر في تأدية رسالته وهي نشر الاسلام وتعليم البربر قواعد الدين الاسلامي الضيق .

وقد أشار الفرد بلر الى هذه الحقيقة بقوله : « بدأت هذه الطريقة — ارسال الدعاة — في نشر الاسلام على يد الدعاة الأتقياء منذ العصر الأموي . » ويقول فون درهايدن : أن البدء في تعلم علوم الدين كان في الوقت الذي قام فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز بحمله في كل الدولة الاسلامية لنشر الدعوة فأرسل الى افريقية جماعة من الدعاة والعلماء (٦٥) .

ومن خلال تراجم هؤلاء الدعاة يمكننا ادراك دورهم العظيم الخلاق في تعليم البربر قواعد الاسلام ومن هؤلاء العشرة : أبو مسعود بن سعد بن مسعود التجيبى الذي قال عنه المالكي : « كان رجلا فاضلا مشهورا بالدين والفضل وهو من العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ليفقهوا أهل القيروان » (٦٦) . في كل ما يتعلق بأمور دينهم . أما أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد فقد كان « رجلا صالحا فاضلا يروى عن جماعة من الصحابة منهم : أبو أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر . »

(٦٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٤٨ وراجع : د / حسن ابراهيم حسن : تاريخ المغرب العربي ص ٣٠٤ .

(٦٥) راجع : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص ٩٧ .

(٦٦) رياض النفوس ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ .

بعثه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى أهل افريقية ليفقههم فى الدين فانفتح به أهل افريقية وبث فيها علما كثيرا» (٦٧) .

كذلك استطاع اسماعيل بن عبيد الأنصارى وهو أحد التابعين أن يعلم البربر المقيمين بالقيروان قواعد الدين « وانفتح به خلق كثير من أهلها وغيرهم وبث فيها علما كثيرا وهو أحد العشرة التابعين وكان رجلا صالحا يقال له تاجر الله وهو الذى بنى المسجد الكبير بالقيروان الذى يعرف بمسجد الزيتونة وكان يصلى به ويعمره» (٦٨) .

### ثالثا : بناء المسجد :

كما حرص القادة والولاة على بناء المساجد وتجديدها باعتبارها المعاهد العلمية التى يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ويؤدون فيها شعائرتهم فضلا عن أنها أماكن تجمعهم لمناقشة شئونهم وأوضاعهم وقد ظهر ذلك واضحا منذ تأسيس القيروان حيث أسس عقبة المسجة الجامع بها - وجاء القادة والولاة من بعده ليؤسسوا فى أماكن عديدة متفرقة العديد من المساجد ومن هؤلاء : موسى بن نصير الذى أسس مسجدا فى أغمات هيلالة - كما سبق أن أبنا - أما يزيد بن حاتم فقد جدد بناء المسجد الجامع بالقيروان سنة ١٥٧هـ وفوق ذلك فقد قام الأفراد ببناء المساجد ومن هؤلاء رويح بن ثابت الأنصارى الصحابى الجليل اذ بنى مسجدا سنة ٤٧هـ سمي بمسجد الأنصار (٦٩) كذلك أنشأ اسماعيل بن عبيد الله مسجدا عرف بمسجد الزيتونة (٧٠) .

على أنه مما لا شك فيه أن كثرة المساجد ومباشرة الفقهاء والدعاة

---

(٦٧) المصدر السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٦٨) نفسه ص ٤٦٩ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٧٩ .

(٦٩) الباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٢٧ .

(٧٠) المصدر السابق والصفحة .

مهامهم التعليمية والتثقيفية بها خير عون للبربر على التعرف على الاسلام  
وتأدية شعائره الدينية المقدسة •

هذه الجهود المجبارة من جانب المسلمين قابلتها استجابة فورية من  
جانب البربر فقد أسلموا وحسن اسلامهم وتشبثوا بدينهم حتى عضوا  
عليه بالنواجذ حتى يمكن القول — بكل ثقة واطمئنان — أنه لم يكد ينثه  
القرن الثانى الهجرى — الذى يمثل فى معظمه عصر الولاة — الا وقد أسلم  
البربر وأصبح المغرب العربى بلدا اسلاميا قلبا وقالبيا يشارك غيره من  
أقطار العالم الاسلامى ما يعود عليهم بالخير العظيم والنفع العميم لخير  
البلاد وصالح العباد •

هذا وقد صاحب انتشار الاسلام — الى جانب ما أنباه — بين البربر  
سرعة تعلمهم اللغة العربية كذلك فقد حرص العرب منذ أن دخلوا شمال  
افريقية على اقامة معاهد صغيرة ملحقة بالمساجد لتعليم أبنائهم حيث  
يدرسون فيها القرآن والحديث والدين واللغة وغيرها من المواد وبذلك  
اكتملت للمغرب جميع الأسباب المواتية ليصبح قطرا عربيا اسلاميا  
بدأ يأخذ طريقه الى جانب البلاد العربية فى المشرق ليمثل دوره المجيد  
فى تاريخ الاسلام والحضارة العالمية وظهرت ثمار هذا التطور الهام فى  
بلاد المغرب مبكرة على عهد موسى بن نصير عندما خلق من أبنائها جندا  
جددا يتسابقون فى رفع راية الاسلام عالية خفاقة ونشر ألويته بالحماسة  
التى قام بها العربى الأول الذى خرج من موطنه فى شبه الجزيرة العربية  
على عهد الخلفاء الراشدين <sup>(٧١)</sup> فقد هيات الادارة العربية وكفايتها السبيل  
أمام الاسلام لينتشر بين البربر سريعا — فقد وجدوا فيه كل الخلاص  
من متاعبهم كلها سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية وغيرها وفى الوقت  
نفسه رأوا فيه — أيضا — الطريق الأمثل لاستعادة سالف مجدهم الغابر  
فى ميدان الحضارة الانسانية وهكذا نهضت الادارة العربية برسالتها

---

(٧١) د/ابراهيم العدوى : موسى بن نصير ص ٦٠ •



فى نشر الاسلام بين البربر فى جد و اخلاص وكان الاسلام قد وجد طريقه الى نفوس نفر من سكان البلاد منذ دخلتها الجيوش العربية المظفرة خاصة أيام - القائد العربى الشهير - عقبة بن نافع الفهري .

ذلك أن بناء القيروان ساعد على اجتذاب من حولها من السكان الى تعليم الدين الاسلامى (٧٢) الحنيف ولا سيما بعد أن تهيأت لهم أسباب الاتصال بالعرب وفضلا عن ذلك فان سياسة قلادة العرب فى اشراف جند من البربر مع جند من العرب فى الفتوح والجرى على المناوأة بين الفريقين فى المغنم والعطاء هب السبيل لانتشار الاسلام فى قسوة بين البربر الذين وجدوا فى العرب اخوة فى الدين لا طغاة مستبعبين بل مصلحين منصفين عادلين .

ولذا لم يقم البربر بدورهم الهام التاريخى الا عندما استفزهم الدين ولا غرو فان « رجال الدين عند البربر هم الذين وضعوا أساس دولة المرابطين والموحدين وقد فهم عقبة بن نافع الفهري عقليتهم فاستطاع بعد ذلك أن يختلب البابهم ويجذبهم للاسلام ولما ذاع فيهم الاسلام الفينا أنه لم يكن اسلاما رسميا هينا وانما كان اسلاما جديا صارما ... » (٧٣) .

---

(٧٢) المرجع السابق : ص ٥٧ .

(٧٣) على ادهم : صقر قريش ص ٥٥ - ٥٦ .

## ثانيا : الجانب الأخلاقي : — (٧٤)

لعل أجمل وصف لأخلاق البربر (٧٤) — سكان شمال افريقية — هو ما عبر عنه ابن خلدون حيث نسب لهم الكثير من أسمى الصفات وأكرمها فيقول : — « وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم عرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المحم والتناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعى الأذمة والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات فى الشدائد وحسن الملكة والافضاء عن العيوب والتجافى عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدم وقرى الضعيف والاعانة على النوائب وعلو المهمة واباء الضيم ومشاركة

(٧٤) البربر هم سكان شمال افريقية المتقدمون وتعددت آراء المؤرخين حول مفهوم كلمة البربر فمى الفيروز آبادى أن البربرية الكلام فى سرعة حين الغضب والبربرية كثرة الكلام والجلبة والصياح والفعل بربر . . » ( القاموس المحيط ج ١ ص ٢٧ ) وأن الرومان استعملون كلمة بربر بمعنى سبوا بسرعة والكلمة ليست كلمة بضمية تدل على جنس إنما أطلقتها عليها غيرهم وتند سماهم الاغريق والمصريون القدامى « الليبيون » ( تليب رقلة : الجزائر ص ١٩٢ ) وثمة رأى آخر يقول : أن البربر غير الليبيين وأنهم أقدم منهم فى الشمال الافريقى ( الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص ٦ ) وكان الرومان يطلقون كلمة « بربر » على نحو ما فعل اليونان من قبل على جميع العناصر التى لا تدين بحضارتهم أو التى تأبى الدخول فى ميدان تلك الحضارات ( د/ ابراهيم العدوى : موسى بن نصير ص ٥١ ) وتسمية سكان شمال افريقية تتصل اتصالا وثيقا ولها علاقة وطيدة باللغة فلما كانت لغة السكان الأصليين غير عربية أصبحت فى نظر العرب رطانة أو عجمية أو بربرية وهى اصطلاحات استعملها العرب هنا وهناك وكانت كلمة البربر من نصيب السكان فى شمال افريقية ( د/ أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ج ٤ ص ١٠٨ ) والبربرية بلسان العرب هى اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه يقال البربر والبربرية بلسان العرب هى اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الأسد اذا زار بأصوات غير مفهومة ( ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٨٩ للاستزادة راجع ) الجذور التاريخية للبربر للمؤلف ( تحت الطبع ) .

الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله فى نصره دينه فلهم فى ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كان يتمسورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم الى مراقى العز وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدى أيديهم ومضت فى الخلق بالقبض والبسط أحكامهم وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى ..» (٧٥) ويشارك ابن خلدون فى كتابة «العبر» البكرى فى كتابه «وصف افريقية والمغرب والأندلس فتحت عنوان «لطف أهل افريقية» يقول : «ولأهل افريقية لطف أخلاق وشمائل بالنسبة الى أهل العدو وسائر بلاد المغرب وما ذلك الا لجاورتهم لمصر ومزجهم بأهلها ومخالطتهم لهم ولأن سكنها من أهل أشبيلية والأندلس وهم من هم ! خفة روح وحلاوة نادرة وهم على كل حال أهل انطباع وكرم طباع ..» (٧٦)

ويتحدث المقدسى عن صفات أقاليم المغرب كل اقليم على حدة فنكتفى منها فى الحديث عن البعض منها أن لم يكن كلها على أن المقدسى يتحدث عن صفة المغرب بصفة عامة قبل حديثه عن كل اقليم على حدة فيقول عن المغرب : « هذا اقليم بهى كبير سرى كثير المدن والقرى عجيب الخصائص والرخا به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة وبه جزائر عدة مثل الأندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت الطيبة النزيهة وطنجة البلدة البعيدة وسجلماسة المختارة الفريدة .. أهلها فى جهاد دائم ثم الغنى فيه سالم ولهم أيضا فى الخير رغبة وللسلطان عدل ونظر وحسبه متصل بالبحر خير جار وخير قوم لكل سائر ومار قد غاب فى الزيتون مدنه وبالتين والكرمات أرضه يجرى خلالها الأنهار ويملا غيطانها الأشجار ..» (٧٧) .

(٧٥) العبر ج٦ ص ١٠٤ .

(٧٦) وصف افريقية ص ٢٧ .

(٧٧) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

ويقول المقدسى عن القيروان واصفاً ولسكانها مادحا : « القيروان مصر الاقليم بهى عظيم حسن الأخباز جيد اللحوم قد جمع أضداد الفواكه والسهل والجبل والبحر والنعم مع علم كثير ورخص عجيب و « هى فرضة المغربيين ومتجر البحرين لا ترى أكثر من مدنها ولا أرقق من أهلها .. مع ألفة عجيبة لا تشغب بينهم ولا عصبية لا جرم أنهم على نور من ربهم قد أقبلوا على مايعنيهم وارتفع الغل من قلوبهم فهى مفخر المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان أرفق من نيسابور وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان .. » (٧٨) .

وعن برقة وأهلها يقول المقدسى : « برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والأعسال مع يسار وهى ثغر أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع .. قد أحاط بها تربة حمراء وهى على جادة مصر .. يحسنون الى الغرباء أهل خير وصلاح وأقل انقلاب من غيرهم .. » (٧٩)

وعن تاهرت يقول : « تاهرت .. قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغلبت فى البساتين ونبتت حولها الأعين وجل بها الاقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وأخطأوا .. هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيب رشيق الأسواق غزير الماء جيد الأهل قديم الوضع محكم الرصف عجيب الوصف .. » (٨٠) .

و « سجالماسة قصبة جليلة .. وسطها حصن يسمى العسكر فيه الجامع ودار الامارة » صحيحة الهواء كثيرة التمر والأعناب والزبيب والفواكه والخيرات كثيرة الغرباء موافقة لهم يقصدونها من كل بلد ومع ذلك فهى « ثغر فاضل وهم أهل سنة وقوم جياد بها علماء وعقلاء » (٨١) .

(٧٨) المصدر السابق ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٧٩) المصدر نفسه ص ٢٢٤ .

(٨٠) نفسه ص ٢٢٨ .

(٨١) نفسه ص ٢٣١ .

وجاء فى كتاب آثار الأول فى ترتيب الدول فى معرض حديثه عن أخلاق البربر وما يتصفون به : و « البربر فيهم الصبر على الشقاء • والاقدام على الموت والحروب ••• وتأليفهم بالمواعظ والخطب والانقياد لمشايخهم وكبرائهم وتؤثر فيهم النواميس غاية التأثير • وهم خفاف على الخيل خفاف فى الجرى ومنهم رجاله يلحقون بالخيل •• ويعظمون شيوخهم وفيهم قبيلة تعظم النساء وتحكمها وتتسبب الأولاد اليهن وينتخب الرجال وتصغر النساء فى الغالب وهى قبيلة مسوفة وبالجملة فأهل البلاد الباردة أشجع من أهل البلاد الحارة تلرز أبدانهم واكتناز أعضائهم وقوتهم الا أن أهل البلاد أخف وأرشق وربما كانوا أركب وأهل الجبال أشجع واصبح من أهل السهل وكذلك أهل المشرق أشجع من أهل المغرب وأهل الشمال أشجع من أهل الجنوب والوسط وسط ••• » قال أهل الفراسة : من صفة الشجاع أن يكون متأزر الأعضاء قوى العصب شديد اللحم قائم الشعر سبطه كأنه ابر مفروزة عريض الصدر غليظ العنق جهورى الصوت أخصم البطن وهذه الصفات مأخوذة من الأسد » (٨٢)

و « البربرى عميق العاطفة الدينية يأخذ الدين مأخذ الجد الصارم ويوغل فيه بغير رفق وهو شديد الاعتقاد كثير التصديق بما وراء الطبيعة ولايفطن من فوره الى الجوانب الفكاهية فى الأشياء ولايدرك متناقضاتها وانما يكتفى بالايمان الشديد ومن ثم فرط احترامه لرجال الدين وسهولة انقياده لهم ••• » (٨٣) والحيوية الجنسية هى المميز الرئيسى للبربر فهم يظهرون صفات دائمة ومستمرة باعثة على الدهشة وهى السبب فى ازدياد عددهم رغم الاضطهاد الذى حاق بهم •

والبربرى يصبر ويثابر وقد يبدو لك أنه استكان وهذا ولكنه عاود الكفاح فى اصرار ومثابرة وقد يتسامح فى الطريقة التى يعيش بها مع الآخرين ولكنه مع الوقت نفسه يظل محافظا على طريقته هو وقوة احتماله مثيرة وله قوة مقاومة لا تجارى •

(٨٢) آثار الأول فى ترتيب الدول ص ١٤٧ - ١٤٨ •

(٨٣) على إدهم : صقر قریش ص ٥٥ - ٥٦ •

ويشهد الكتاب الأجانب في كثير من مؤلفاتهم : أن البربر ذو شجاعة فائقة وذكاء والبربرى ان تخلقى عن عزلته يكون شخصا مرحا لطيفا ولهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة منذ آلاف السنين يعتبرونها جزءا لا يتجزأ من كيانهم فلا يستعملون موائد الطعام ويأكلون بأيديهم ويسلمون وهم جلوس فهم يعترفون بعاداتهم القديمة « (٨٤) التى جبلوا عليها وألفوها وصارت جزءا من كيانهم لا ينفصل ولا ينفصم • ويضيف الى ذلك جوستاف لوبون قوله : « والبربر صبر على العمل الشاق فلا يرتدون عنه ويثيرون ما يملكون من الأراضى الضعيفة بجد ونشاط ويكتفون بما يمسك به الرقيق لاحتياجاتهم القليلة وهم ذو استعداد صناعى يكفى لصنع ما يحتاجون اليه من مختلف الأدوات والنسائج والأسلحة والحلى ... وهم يرسلون الى الخارج ما يزيد من مصنوعاتهم ورأيت بين ما يصنعون من الحلى ما لا يقل دقة عما نراه فى مخازن أكثر الصنائع انباريسيين أناقة •

ويستطرد لوبون قائلا : وقد « رأيت فى مجموعة المصنوعات التى أحضرها مسيودو ويفالفى من آسيا الوسطى أشياء مماثلة لما يصنعه البربر المعروفون بالقبائل • فمن المحتمل أن تكون قد اقتبست حينما كانت بلاد الهند ذات صلات بافريقية أيام دولة العرب » (٤٤) •

بيد أن فريقا آخر من قدامى المؤرخين من تناول أخلاق البربر بالذم والقدح ويصفها بالقبح وهذا الفريق فيما ذهب اليه — كما اعتقد — متحاملا على الحقيقة ومتجنيا كل التجنى على سكان شمال افريقية — بلا استثناء — وكأن لم يكن ثمة فرد واحد منهم يتصف بصفات حسنة وأخلاق كريمة وهذا — بلا مرية ولا ارتياب — افتراء واختلاق غير معقول وغير مقبول معا — على حد سواء •

• (٨٤) فيليب رفل : — الجزائر ص ٤٤.  
• (٨٥) لوبون : حضارة العرب ص ٢٤٧.

يقول ياقوت فى معجمه ويشاركة صاحب كتايب حقائق الأخبار عن  
 دول البحار والىستانى فى دائرة معارفه ومن سار فى فلهم : « البربر  
 أخلق الله وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية  
 الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة ولم تخل أجيالهم من الفتن وسفك الدماء  
 بقط ولهم أحوال عجيبه وأصطلاحات غريبة وقد حسن لهم الشيطان  
 العوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة  
 وغرائزهم ضد الحق حائلة فكم من ادعى فيهم النبوة تقبلوا وكم من  
 زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا دعوته ولذبه انتحلوا وكم  
 ادعى فيهم مذهب الخوارج فالى مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ثم سفكوا  
 الدماء المحرمة واستباحوا المنكرات ونهبوا الأموال وارتكبوا الفواحش  
 حتى حكى عنهم فى ذلك أمور يمجها السمع وتكرها النفس وهم يظنونها  
 مبالغة فى اكرام ضيوفهم • على أنه مما يثير الدهشة والغرابة ويبعث  
 على الاشمئزاز أنهم يختلفون أحاديث وينسبونها إلى الرسول الكريم  
 للاستدلال بها على آرائهم الباطلة فيقولون : « ويروى عن النبى أنه قال :  
 ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر » ولأن أتصدق  
 بسوطى فى سبيل الله أحب إلى أن أعتق رقبة بربرى » وينسب إلى أحد  
 المغاربة فى هجاء البربر قوله : —

رأيت آدم فى نومى فقلت له      أبا البرية ان الناس قد حكموا  
 ان البرابر نسل منك قال اذا      حواء طالقة ان كان ملازموا (٨٦)

ويشارك هذا الفريق فى تجنبه وافترائه على البربر فى تعميمهم  
 تلك الصفات السيئة على جموع البربر بلا استثناء يذكر بما لم يأت الله  
 به من سلطان فيتفق معهم المسعودى فيما إليه ذهبوا •

يقول المسعودى : — أما المغرب فيبقى القلب ويوحش الطبع ويطيش

(٨٦) ياقوت الحوى : معجم البلدان ج ١ تحت مادة بربر ، حقائق الأخبار  
 للمبشقى ص ٢٧٣ ، دائرة الستانى ج ٥ ص ٢٨ .

باللب ويذهب بالرحمة ويكسب الشجاعة ويقشع للضراعة وفي أهله  
غدر ولهم خبث ومكر - ديارهم مختلفة وهمهم غير مؤتلفة ولديارهم  
آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمر يظهر وأحوال تبهر» (٨٧) •

وللرد على هذه الافتراءات نقول : أن أريد بلفظ البربر الوارد في  
قول هذا الفريق الجنس فهذا غير صحيح فالكلمة « بربر » ليست كلمة  
جنسية تدل على جنس إنما أطلقها عليها غيرهم وقد سماهم الاغريق  
والمصريون القدماء « الليبيون » (٨٨) وفي الوقت نفسه فالتسمية بالبربر  
لا علاقة لها بالجنس وإنما علاقتها باللغة — كما يرى فريق آخر من  
المؤرخين — فلما كانت لغة السكان الأصليين غير عربية أصبحت في نظر  
العرب رطانة أو عجم — أو بربرة وهي اصطلاحات استعملها العرب  
هنا وهناك وكانت كلمة البربر من نصيب السكان في الشمال الأفريقي (٨٩)  
على أنه يمكن التوفيق بين من يتناول أخلاق البربر بالثناء والمدح  
ومن يتناولها بالهجاء والقبح ذلك أن الفريق الذي تناول أخلاقهم بالمدح  
عندما أن أسلموا وحسن إسلامهم وعمر الايمان قلوبهم وملك عليهم  
جوارحهم ووجدانهم وسرى فيهم مسرى الروح في الجسد والدم في  
العروق فانعكس ذلك كله عليهم جميعا قولاً وعملاً ذلك أن ما أبنى على  
خير فهو خير ولا غرو فان الدين الاسلامي يتمثل فيه كل المبادئ السامية  
والتعاليم الراقية والمثل العليا النبيلة والقيم الرفيعة ولا ريب فالتمسك  
به فيه عزة البشرية وسعادتها في الدارين فهو صلاح البلاد وخير العباد  
أما وجهة نظر الفريق الآخر الذي تناول أخلاق البربر بالهجاء والقبح  
فمرد ذلك الى الحالة التي كان عليها البربر قبل أن يروا نور الايمان  
وما كانت عليه أخلاقهم قبل أن تصفو روحهم وتتخلص من شوائب الدنيا  
والرزايا باعتنائهم الاسلام •

(٨٧) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٦٢ •

(٨٨) فيليب رغلة : الجزائر ص ١٩٢ •

(٨٩) د/ أحمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج٤ ص ١٠٨



وبالإضافة إلى ذلك فلا تخلو أمة من الأمم أو دولة من الدول بل كل أمة من الأسر من وجود نقص في أخلاقها أو عيب في سلوكها ومصرفاتها ولا غرو - فللكمال لله وحده عز وجل على أنه ليس ببعيد أن يكون وجهة نظر هذا الفريق في أخلاق البربر مرده إلى اعتبارات مذهبية أو طائفية أو شخصية أو غيرها من الاعتبارات .

وفي إطار هذا الصدد أحسن المقدسي صنعا وقولا ذلك أنه بعد أن تحدث عن صفة المغرب وأقاليم وصفات أهله يختم قوله بعبارات لن يمحوها الزمن مادام الحمام يغرر ولا ريب فهي نابعة من قلب مملوء بالصدق يتسم بالتجرد وعدم التحيز لهذا أو لذاك يدل على شعور صادق وإحساس مرهف يقول المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : « وأما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصنيفهم ومن مفاخر كتابنا الاعراض عما ذكره غيرنا وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا ... وإذا نظرنا في كتابنا وجدته تسبح وهدى يتيما في نظمه ولو وجدنا رخصة في ترك جملع هذا الأصل ما اشتغلنا به ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام وأرانا أسبابه وألهمنا قسمته (٩٠) وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين ألا ترى إلى قوله تعالى : « قل سيروا في الأرض » « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم » (٩١) وفيما ذكرناه عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر ... » (٩٢) .

وبالإضافة إلى ذلك يقول لوبون : « وانتهى العلماء الذين بحثوا في أمر البربر إلى نتائج متناقضة كثيرا ويمكن التوفيق بين هذه النتائج المتناقضة فيصح أن نقول أن البربر الذين تباينت فروعهم قد تباينت طبائعهم وأن أخلاقهم تختلف باختلاف ظروف وطرق حياتهم وما يقال

(٩٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٤١ .

(٩١) سور محمد آية ١٠ .

(٩٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٤١ .

عن الطوارق لا يقال مثله عن سكان الجبل من البربر ٠٠٠» (٩٣) وقد تعد روح البربر قرية جدا من روح العرب على أن يقاسى حضريو أولئك وبدويوهم بحضريي هؤلاء وبدوييهم ولطرق الحياة تأثير كبير فى أخلاق جميع الأمم فاذا تماثلت طرق حياة الأمم تماثلت هذه الأمم فى التفكير والسير فى الغالب. ولطالبا لبربرى الحضري كالحربى الحضري جلد على العمل صبور وحازم ماهر والبربرى البدوى كالعربى البدوى طليق محراب فنوع خفيف طواق للمشاق ختار للأعداء ٠٠٠ واشتهر البربر قبل الفتح العربى بطويل زمن بأنهم ممن لا يوثق بكلامهم وقد كان عددهم كثيرا فى جيوش قرطاجة فأوجبوا أشتهار الحروب اليونانية ٠٠٠» (٩٤)

ولدراسة طبائع البربر المعروفين بالقبائل وعاداتهم التى ثبتت مع تعاقب الفاتحين أهمية خاصة فنشتمل كل قرية بربرية على أسر كثيرة مؤلفة من أناس منحدرين من أصل واحد ومن أناس انضموا اليهم بالولاء وتعد واحدة من تلك الأمبر وهذه سياسية شرعية هادئة على التملك والبسيع والشراء وتتألف القبيلة من اجتماع عدة قرى والقرية لا القبيلة هى عنوان الوحدة السياسية البربرية خلافا لما هو عند العرب والقرية البربرية هى جمهورية صغيرة مستقلة يدير شئونها رئيس منتخب يسمونه الأمين وأهم وظائفه أن يرأس جمعية البالغين من أهل قريته وتتمتع هذه الجمعية بالسلطة الشرعية والقضائية وتقرر شئون السلم والحرب.

وسلطة أمين القوية مفيدة جدا والوكيل هو الذى يراهم والوكيل هو الذى يسكوه الى تلك الجمعية اذا أتى عملا يستحق اللوم والتعنيف ومن ذلك نرى أن الاستقلال البلدى الذى يحطم به بعض الاشتراكيين قام عند البربر الذين حرروا بسببه تاليف أمة فى كل زمن.

(٩٣) لوبون حضارة العرب ص ٢٤٩.

(٩٤) حضارة العرب بعض ٢٥ - ٢٥٤.

والتملك أمر فردى عند البربر ولكن الحضرة اليهودية والمقوقية اليهودية  
أملأها المماثلة لأملأك بلدياتنا — على حد قول لوبون — والأسرة اليهودية  
هي الوارثة حين لا يكون للمورث ورثة أو حين يكون ورثته بعيدين •

وقانون العقوبات عند البربر بسيط — ولا يعرف البربر الأمر المحجور  
وتتدر عندهم الجرائم ولا سيما السرقة ويعيش البربر في غير معزل عن  
عشيرته فيخشى معية الأجرام ويرى للرأي العام سلطان عظيم في تلك  
الجمهوريات البربرية التي يعرف فيها كل واحد من أفرادها •

ويقتصر البربري على زوجه واحدة ولا تتمتع المرأة البربرية بأكثر  
مما تتمتع به الأوروبيات في الحقوق وإن كانت في وصاية أقل مما هن فيه  
والمرأة اليهودية على جانب كبير من الخمية وهي تعارب بجانب زوجها  
أحيانا وخذل أومينى ذكرها حين تغضب مظهر تلك الملة والنسوة المترجلات  
اللائي فتحن بلاد لوبية وبعض آسيا الصغرى ومن النساء البربريات من  
جلسن على عرش الملك ويدل هذا الأمر الذي ينفر منه العرب كثيرا على  
تباينهما في النظر إلى بعض الشئون « (٩٥) » •

أما عن صفات البربر في أحوالهم المعيشية فقد اتصف البربر سواء  
أكانوا بدوا أم بزانس بعدة صفات أجملها ابن خلدون بقوله : « يتخذون  
من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر والشعر والوبر ويظعن أهل  
العز منهم والغلبة لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها  
الريف إلى الصحراء والقفار الأملس ومكاسيهم الثياب والبقر والخيول في  
الغالب للركوب والفتاح وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم  
شأنهم شأن العرب ومعايش المستضعفين منهم بالفلاح ودرجن السائمة  
ومعايش المعتزين أهل الانتجاع والاطعان في نتاج الإبل وظلال الرماح  
وقطع السابلة ولياسهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة

• ٢٤٨ •

• (٩٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٢٤٧ - ٢٤٩ •

ويفرغون عليهم البرابرة الكحل ورؤوسهم فى الغالب خاسرة وربما يتعاهدونها بالخلق» (٩٦).

ويمكننا أن نستنتج مما ذكره ابن خلدون من صفات البربر المعيشية النقاط التالية :

(أ) أن البربر كانوا يتخذون مساكنهم بحسب المكان الذى ينزلون فيه فحيث الاستقرار يكون البناء بالحجارة والطين وهؤلاء أهل المدن .

(ب) طبقة التجار وكانت تجارتها تعتمد على الشاء والبقر وما تنتجه هذه السائمة من لحوم وأصواف والبان يستخدمونها فى حياتهم .

(ج) الطبقات الصالحة فى الأرض حيث تقوم بزراعة الأرض والإشراف على تربية الطيور وغيرها من المهن والحرف .

(د) على أن ثمة طبقة أخرى كانت تعيش بمنطق القوة أى بالآغارة على ما جاوزها من الأغنياء وذلك بحد السيف للحصول على ما تريد .

(هـ) ونظرا لتوفر الماشية والأغنام نجد أن أغلب ملابسهم صوفية خاصة فى المناطق الجبلية والصحراوية حيث يشتد البرد وهو مما يحصلون عليه من أوبار ما سببتهم وأغنامهم» (٩٧) .

أما عن المراتب التى تنقسم بها بلاد البربر عن جزيرة العرب فهى جبالها الشاهقة ومساكنها الوعرة وكثرة وديانها الخصبة مما يهيئ للمدافعين عنها فرسا كثيرة للايقاع بالمغير حين تهب كل قبيلة للدود غن حماها ولكن جمهور البربر قبائل بدوية يعيش أكثرها على الرعى فى هضبة المنطوط وفى الأطلس الصحراوية والكبرى ومن باب أولى فى الوديان الكثيرة التى تنحدر من هذه الجبال إلى الصحراء والتى تتكرر

(٩٦) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٨٩ .

(٩٧) راجع د/ هجين على حسن : تاريخ المغرب العربى ص ٢٨٨ .

ففيها الواحات وبسبب خيلق المياه السطحية التفصيص وصعوبة الاتصال بين أجزاء البلاد لم تقم فيها دولة كبيرة تجمع شتاتها فترة طويلة من الزمن كما حدث في مصر وانما قامت فيها في أكثر حقب التاريخ دويلات صغيرة متنافسة شأنها في ذلك شأن بلاد اليونان حيث قامت المدن الحكومية المتفرقة قبل أن تخضع تلك البلاد للمقدونيين (الآغريق) ثم للرومان .

وقد انبنى على هذا التشتت السياسى الذى أهملته طبيعة البلاد أن كان السهل الساحلى محط أنظار المستعمرين فى مختلف العصور وكان بعضهم يتوغل إلى الداخل عن طريق وديان الأنهار ولكن هذه الطبيعة بذاتها حين أطمعت المستعمرين فى البلاد بطور عبث وإهمال وسبيل المقاومة حتى استطاعوا فإذا عجزوا الجأوا إلى قنن الجبال وتحصنوا بالصحراء يتربصون بالعدو حتى إذا لاحت « لهم » الفرصة خرجوا من كهوف الجبال ومخابئها العديدة بما يمثل فى جبل أو وادى والمقصود على الحى (٧) وما حكموا للحرية والنسل يريدون بذلك مطاردة الأجنبي المعتدى والمستعمر الدخيل البغيض حرصاً منهم على الحرية والأمن والاستقرار .

(۲۸۲۵ ت راجعاً) ۱۳۵۱ هـ ۱۳۵۰ هـ ۱۳۴۹ هـ (۱۳۴۸ هـ)

مجلسه اول : ۱۳۸۵ / ۱ / ۲۰ - روز شنباد  
ساعت ۱۷:۰۰ تا ۱۹:۰۰

(٧٦٥) ت بقاله رجا زب عمده ملا عبد رجا زبلا رصصه : رصصه  
٠ ٧٨/٠ قلم رصصه رصصه رصصه رصصه رصصه

وفاؤہما فیہما ولسلما رجاء فیہما رحمۃ اللہ علیہما (الکتاب فیہما رجاء فیہما رحمۃ اللہ علیہما) .

(٩٨) محمد أحمد حسونة : الجغرافية الإسلامية للتاريخية من ٥٤ - ٥٦

ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث  
أولا : المصادر :

ابن الأثير (أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ٥٦٩هـ - ٦٢٣م)  
الكامل في التاريخ ، القاهرة ، م الأزهرية سنة ١٣٥١هـ م المنيرية  
سنة ١٣٥٧هـ ، ط الحلبي سنة ١٣٠٣هـ .

الباجي (أبو عبيد الله محمد)  
تاريخ الخلافة النقية في أمراء إفريقية . تونس ، علم الدولة التونسية .  
البكري (أبو عبيد عينة الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ)  
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . بغداد ، م المثنى سنة ١٩١١م  
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربي ت ٨٠٨هـ)  
العبر وديوان المبتدأ والخبر . القاهرة ، م الأميرية ، سنة ١٢٨٤هـ .

الدباغ (عبد الرحمن محمد بن عبد الله الأنصاري ت ٦٩٦هـ)

معالم الايمان في معرفة أهل القيروان . القاهرة ، م الخانجي  
سنة ١٩٦٨ .

الدمشقي : (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب ت ٥٢٧هـ)  
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ط لبيزج سنة ١٨٢٠م .

ابن أبي دينار (أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني  
ت ١١١٠هـ) .

المؤنس في أخبار إفريقية وتونس تحقيق محمد شمام . تونس ،  
م النهضة للدراسات والبحوث .

السلوى ( أحمد بن خالد ت ١٣١٥ هـ ) : وجاهدا : ليل

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى • القاهرة ، دار الكتاب

العربي سنة ١٣١٢ هـ • : رحمة الله عليه

ابن عذاري ( أبو عبد الله محمد المراكشي ت أواخر القرن السابع الهجري )

البيان المغرب تحقيق بروفنسال : بيروت ، دار الثقافة

العمري ( شهاب الدين بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي )

وصف إفريقية والمغرب والأندلس تحقيق حسن عبد الوهاب ،

تونس ، م النهضة د - ت •

٠ ١٣٦٨ هـ •

الفيروز آبادي ( ت ٨١٧ هـ )

رحمة الله عليه

القاموس المحيط ٢ القاهرة ، م الحلبي سنة ١٩٥٢ م •

القيرواني ( أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم ت في القرن الخامس الهجري )

تاريخ إفريقية والمغرب تحقيق المنجي الكعبي • تونس ، نشر مطبعة

الوسط سنة ١٩٦٧ •

الكني ( أبو بكر عبد الله ت ٤٢٨ هـ )

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية تحقيق حسين

مؤنس ، م النهضة سنة ١٩٥١ •

المسعودي ( أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ م )

مروج الذهب ومعادن الجوهر ط ٣ القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م •

المندسي ( شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي المعروف بالبشاري )

أحسن التقاسيم ط ٢ طبعة بريل ، ليدن سنة ١٩٠٩

ياقوت ( شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادى ت ٦٢٦ هـ )

معجم البلدان • القاهرة ، م السعادة سنة ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م •

ط بيروت دار صادر سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٥٧ م عشرة أجزاء •

ثانيا : المراجع : ( ١٩٧٥ ت : عالم ) دار النشر :

ابراهيم أحمد العدوى :  
١٩٧٥ . دار النشر :

موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي . القاهرة ، دار  
الكتاب العربي ، سلسلة اعلام العرب أغسطس ١٩٦٧  
المجلد ( ٩٨ ) . دار النشر :

أحمد شلبي :  
دراسات في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية .  
القاهرة ، م النهضة سنة ١٩٦٠ م .

أحمد صفر : ( ١٩٨٤ ت ) دار النشر :

مدنية المغرب العربي في التاريخ . تونس ، دار النشر ،  
١٩٥٩ م . دار النشر :  
أرنولد السير توماس : دار النشر :

الدعوة الى الاسلام ترجمة وتعليق د/حسن ابراهيم ،  
عبد المجيد عابدين ط ٢ القاهرة ، م النهضة سنة ١٩٥٧ م .  
البستاني ( بطرس ) : دار النشر :

دائرة معارف البستاني ط بيروت ، دار المعرفة سنة  
( ٢٥٥٩ - ١٨٧٦ م ) دار النشر :  
حسن أحمد محمود : دار النشر :

ليبيا بين الماضي والحاضر . القاهرة ، م النهضة .  
الاسلام والثقافة العربية في افريقية . القاهرة ، ط ٢  
١٩٦٣ .

( ٢٢٢٥ ت ) دار النشر :  
حسن علي حسن : دار النشر :  
الاسلام والتاريخ المغرب العربي ط ١ - القاهرة ، م الشباب سنة ١٩٧٧



نکات مهم از کتاب:

## حسين مونس :

فتتح العرب للمغرب. القاهرة، م الآداب سنة ١٩٤٧.

2. 11. 1951

الزاوی ( الطاهر احمد الطرابلسی )

تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ط ٢ القاهرة : دار المعارف

• سنة ١٩٦٣

4, 5, 6, 7, 8, 9

**عبد الحميد العبادي :**

المجلد في تاريخ الأنديلس ط ٢ القاهرة ، دار القلم

(سلسلة المكتبة التاريخية) •

١٩٨١: ٧٨٩. (سلسلة المجلد الثاني) الجزء الأول: المجلد الأول

على أدهم :

١٠٠ : قلیل کا معنی

صقر قريش سلسلة كتاب الهلال عدد ١٦٣ أكتوبر سنة

۵۰۶۱ قفسه زیورکده

• 1978

**فنيسنك ، هو تسما وآخرون :**

دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندى ط ١

القاهرة ١٩٣٣ •

### فيليب رفلة :

الجزائر مع تعريف ببلاد المغرب ط١ القاهرة ، م الصباح

سنة ١٩٥٦م •

**لوپون (جوستاف) :**

حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر • القاهرة ، دار

المعارف سنة ١٩٥٨ •

**محمد أحمد حسونة :**

## الجغرافية الإسلامية التاريخية • القاهرة ، لجنة البيان

العربي •

محمد عبد الله عنان :

دولة الإسلام في الأندلس • القاهرة ، لجنة التأليف  
والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ •

محمد علي دبور :  
تاريخ المغرب الكبير • القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية  
سنة ١٩٦٣ •

محمود إسماعيل :  
الملكية والشيعة بإفريقية ابن قيام الدولة الفاطمية بحث  
نشر في مجلة التاريخية المصرية مجلد ٢٣ سنة ١٩٧٦ م

نقولا زيادة :  
تبرقة الدولة العربية الثامنة ط بيروت ، دار العلم  
للملايين سنة ١٩٥٠ م

نور محمد أحمد :  
...  
١٩٦١ •

...  
...  
١٩٦١ •

...  
...  
١٩٦١ •

...  
...  
...